التصوير على سائر الأثاث

أنشد الحمدونىّ فى الباب الرابع والأربعين من «التذكرة الحمدونية» لعَبْرة بن الطبيب، يصف مجلس شراب من قصيدة :

حتى اتكأنا على فرش يزيّنها ... من جيّد الرقم أزواج تهاويل

فيها الدجاج وفيها الأسد محذرة ... من كلّ شىء تُرى فيها تماثيل

وفى «صحيح البخارىّ» عن عائشة رضى الله عنها : «أنّها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير، فقام النبى صلى الله عليه وسلم بالباب، فلم يدخل، فقلت : أتوب إلى الله مما أذنبت. قال : ما هذه النمرقة ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسّدها» إلى آخر ما جاء فى الحديث، والنمرقة هنا الوسادة. وتطلق أيضاً على الميثرة والطِنْفِسة فوق الرحل.

وفى «كتاب الأشربة» لابن قتيبة أنّ القاسم بن محمد كان يلبس ملحفة معصفرة، ويجلس على مجلس معصفر فى حجلة فيها تصاوير العنقاء[١٢٩].

وذكر ناصر خسرو فى كتاب «سفرنامه*»، وهو رحّالة جاب بلاد المشرق سنة ٤٣٧ — ٤٤٤ ودخل مصر أيام المستنصر الفاطمىّ، أنّه توصّل بأحد كتاب الخليفة إلى صاحب الستر فأدخله الإيوان الذى يجلس فيه الخليفة يوم العيد، ويمدّ به السماط فشاهد به سرير الملك وهو من الذهب والفضة الخالصين، وقد نقش بالنقوش البديعة، وصورت عليه ساحة صيد بمن فيها من صيّادين وفرسان تجرى خيلها وغيرهم تصويراً بالغاً الغاية من البراعة والإتقان[١٣٠].

وفى دار الآثار العربية بالقاهرة لوح خشب من خزانة، عليه صورة طائر بديع الصنع بقى بعضه وذهب سائره[١٣١]. وإطار باب من خشب عليه صور من الحيوان والطيور تشهد لصانعها بالمهارة فى التصوير[١٣٢]، وكرسى من صُفْر عمل سنة ٧٢٨ للناصر محمد ابن

(*) ألفه بالفارسية وطبع بباريس سنة ١٨٨١ م، ومعه ترجمته إلى الفرنسية.

قلاوون ، وكتبت عليه ألقابه بالخطّ الـكوفىّ[١٣٣] ، وعليه صور بطّ إشارة إلى اسم قلاوون لأنه بهذا المعنى فى التركية القديمة[١٣٤] ، وهو من عمل محمد بن سنقر البغدادىّ السنانىّ ، كما هو منقوش عليه . وفيها غير ذلك مما تركنا ذكره اختصاراً .

أما التصوير على البُسُط فقد كان معروفاً عندهم ، وله ذكر فى أشعارهم ، ومنه قول الشريف الرضى فى غرض له :

فارقونا فبقينا بعـــدهم ... كالرزايا وضعت عنها الغبط
فى ذنابى معشر جيرانهم ... مضغ للخطب يغدو أو لقط
ليس بالراضى إذا نبّهـــم ... طارق الليـــل ولا بالمغتبط
صـــور رائعة لا يُرتجى ... نفعهـا مثل تهاويل النمط* [١٣٥]

وفى أخبار المستعين العبّاسىّ أنّ أُمّه عملت له بساطاً صوّرت عليه صورة كل حيوان وطائر من الذهب وأنفقت عليه مالاً جمّـا[١٣٦] . وذكر المسعودى فى أخبار المنتصر عن محمد ابن سهل أنه شاهد فى أحد أروقة القصر بساطاً فى داراته صور ملوك شتى ، وقد كتب على إحداها بالفارسية صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز ، وقد كتب على أخرى صورة يزيد ابن الوليد بن عبد الملك القاتل لابن عمه الوليد بن يزيد بن عبد الملك[١٣٧] ، ولـكن الظاهر أنّه كان من صنع الفرس لا العرب . وذكر المقريزىّ فى «خططه» فيما وجد بخزائن الفرس والأمتعة الفاطمية الحصر والأنخاخ† المطرّزة بالذهب والفضة والمصوّرة بسائر أنواع الصور كالطيور والفيلة وغيرها[١٣٨] .

(*) التهاويل الألوان المختلفة وزينة التصاوير والنقوش والحلى ، واحدها تهويل وهى رواية الديوان . والذى فى «جمع الفوائد» لابن نباتة : مثل تصاوير النمط ، وفيه أيضا : رائقة بدل رائعة ، وهى رواية نسخة مخطوطة من الديوان أيضاً .

(†) النخ بفتح أوله ، وجمعه الصحيح نخاخ بكسر الأول بساط طويل ، طوله أكثر من عرضه ، وهو فارسىّ معرب .